



إيبارشية جنوبي الولايات المتحدة الأمريكية

الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات والمكرسين والمكرسات

ابريل ٢٠١٩

أبنائي الأحباء،

سلام ونعمة.

كما أن الصوم الكبير المبارك قارب أيضاً على الإنتهاء، أود أن أسأل كل منكم سؤال سبق أن سأله راهب مرةً للقديس يوحنا القصير قائلاً: "ما هو الراهب؟"^(١).

إن أردت التعبير عن الإجابة بكلمة واحدة، فما هي كلمتك؟!

إن كانت الحياة الرهبانية هي حياة الكمال المسيحي – كما قال ربنا يسوع المسيح: "فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ" (مت ٥: ٤٨) – إذن فالإجابة هي كما قال القديس يوحنا تماماً: "الراهب هو الكادح" (أي الذي يتعب في كل أمر).

في الحقيقة كل شيء ذا قيمة بالنسبة لنا، يستحق الجهاد من أجله، وكل شيء نجاهد من أجله، فهو ذا قيمة بالنسبة لنا.

كذلك حقاً، في كل شيء يعمل الراهب لابد له أن يتعب، وبهذه الطريقة نكون غير شاعرين بتعب الجهاد بعد، بل بالحري يمكننا تذوق حلاوته في طريقنا "تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتَعَبِينَ وَالنَّاقِضِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. إِحْمَلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لِأَنِّي وَدِيعٌ وَمَتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنَفْسِكُمْ. لِأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ". (مت ١١: ٢٨ - ٣٠).

يوجد عظة لقداسة البابا شنودة الثالث غاية في الجمال، عنوانها: "التعب من أجل خلاص النفس". أحث جميعكم على سماعها.

هذه العظة جعلتني أفكر في ثلاثة أشياء في الحياة الرهبانية:

• حياة التسبيح والصلاة.

• العمل اليدوي.

• الحياة المشتركة.

وأنا أود أن أذكر بعض النقاط عن كل منها.

أحياناً يُوَجَّه إلينا السؤال الآتي: "كيف تستيقظوا وتقعدوا على الوقوف كل يوم للتسبيح في الرابعة صباحاً؟! وهل تعودتم على ذلك؟!"

لأنه من الخارج يبدو شيئاً غريباً أن يفعل أحد ذلك بقية أيام حياته. بالطبع الاستيقاظ في الرابعة صباحاً يُجبر جسدنا على قطع حالة الراحة الطبيعية، ولكن ليست هذه هي النقطة بالتحديد. نحن نريد أن نعطي ربنا يسوع المسيح كل شيء لدينا، لأنه أعطانا كل ما هو له، وما هو الذي لدينا لنقدمه مقارنةً بما نأخذه؟! طبعاً الله ليس بحاجة إلى أي شيء منا، ولكننا جميعاً نعرف جيداً أنه عندما نحب لا نكف عن العطاء، لأن ذلك العطاء يجلب لنا السرور، ويوطد علاقتنا بالمحبيب... عندما نحب، نضحي بوقتنا... براحتنا... بأرائنا... بمسراتنا... حتى بحياتنا من أجل المحبوب، ونحن نفعل ذلك بأعظم مسرة. دعونا نسأل أي أم، إن كانت تسألت البتة: هل طفلها يستحق كل تضحياتها؟! إنها حتى في حال إعياها تود أن تبذل أكثر لو كان في مقدرتها. "أَكْرِمِ الرَّبَّ مِنْ مَالِكَ وَمِنْ كُلِّ بَاكُورَاتِ غَلَّتِكَ" (أم ٣: ٩)، ربما يمكننا أن نفكر في تقدمات الدير عند قراءة لهذه الآية، ولكن يمكننا بالأحرى أن نطبقها على أنفسنا، ونعطي الله من باكورات كل شيء ائتمنا هو عليه – "وَتُجِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ". (مر ١٢: ٣٠).

لماذا نشتغل بكبد وتعب في مجتمعنا الرهباني؟ هل ساعات العمل هذه كلها لابد منها إن كنا نؤينا على تكريس حياتنا للصلاة والتأمل؟! كثيراً ما نجد أنفسنا نشكو من كم ساعات العمل الموكل به إلينا!... وكم نحن مُجهدين من هذا العمل الكثير! لكن يا أحبائي، لا يكن لكم هذه النظرة، وأطلب إليكم أن تتحرروا من هذه الأفكار المزعجة. نحن لا نعمل كأجراء مقابل إبقائنا في الدير، بل إنما نعمل لأننا اتينا إلى هنا لنخدم الرب إلهنا، ولننمو يوماً فيوماً في محبته. هل يوجد علاقة يمكنها حقاً أن تنمو بلا تعب؟ بالطبع لا.

هل يمكن لخطيبين الزواج بينما كل طرف منهما جالساً في بيته، متمنياً أن تتطور ديناميكية علاقتهما تطوراً إيجابياً؟ إن كان الأمر هكذا فإنه بالتأكيد سيكون أفضل بالنسبة لهما، ولكن الحقيقة ليست كذلك. نحن نعلم جيداً الآثار السلبية للبطالة، ونعرف أيضاً أمثلة من الكتاب المقدس، ونعرف ما هي عاقبة البطالة في حياتنا، ونعرف الطاقة المتجددة فينا يوماً فيوماً لكوننا عمالين...

لا ينبغي أن ننظر للعمل على أنه روتين ثقيل، بل بالأحرى ليكن مفهومنا عن العمل أنه عمل محبة وصلاة - "فَأَقْبَلُوهُ فِي الرَّبِّ بِكُلِّ قَرَحٍ، وَلْيَكُنْ مِثْلُهُ مُكْرَمًا عِنْدَكُمْ، لِأَنَّهُ مِنْ أَجْلِ عَمَلِ الْمَسِيحِ قَارِبَ الْمَوْتِ، مُخَاطِرًا بِنَفْسِهِ، لِكَيْ يَجْبُرَ نُقْصَانَ خِدْمَتِكُمْ لِي" (في ٢: ٢٩، ٣٠)، وهذا ما أروعه - أن أعطي وأبذل إلى الحد الذي فيه أخطر بنفسي غير ناظراً إلى وقتي... إرادتي... راحتي! إن هذا يعتبر عمل محبة مطلق، وتعب ذا قيمة.

الحياة في مجتمع مغلق ليست بالأمر الهين أو السهل، لأنها تتطلب باستمرار تعب وإنكار ذات. ومع ذلك، لتكن لك الثقة أن كل تضحية هي معروفة لدى الله، وكل عمل محبة صعب هو معلوم لدى الله، لذلك هو يستحق التعب، وهذا التعب له أجره.

"أَعْطُوا تُعْطُوا، كَيْلًا جَيِّدًا مُلَبَّدًا مَهْزُورًا فَإِنَّهَا يُعْطُونَ فِي أَحْضَانِكُمْ. لِأَنَّهُ بِنَفْسِ الْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ" (لوقا ٦: ٣٨).

إن الله يستحق أن تقبل من أجله الظلم من أخيك/أختك...

الله يستحق الذهاب من أجله للميل الثاني في الوقت الذي تكون فيه مُنهك القوى...

الله يستحق من أجله العطاء دون أنتظار لمقابل أرضي...

الله يستحق من أجله الخضوع بينما الذات تتوجع...

الله يستحق من أجله التزام الصمت كي يؤخذ في الاعتبار لا رأيك، بل رأي الآخرين...

الله يستحق من أجله الهروب من مجد الناس إلى المتكأ الأخير...

الله يستحق من أجله تعب المحبة من أجل أخيك/أختك في مجتمعنا الرهباني المغلق، التعب الذي يُنقذك يوماً فيوماً، ويساعدك على النمو.

أنا أحث جميعكم على سماع عظة البابا شنودة الرائعة عن التعب من أجل خلاص النفس... هي من العظات التي تنعش الروح، وتذكركنا بأن التعب من أجل ربنا يسوع المسيح هو أكثر بركة جديرة بالاهتمام يجب علينا اختبارها في حياتنا على الأرض.

ليكن سلام ومحبة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم.

والمجد لله دائماً أبدياً. آمين.